الموقف الإسرائيلى بين الصهيونية والشرعية..

د. سيد نوفل

حملت هذه الأيام بالتحركات الدولية .. فالتقى وزيرا الخارجية الأمريكى والسوفيتى : إدموند ماسكى وأندريه جروميكو .. وسعد الحلفاء الغربيون بهذا اللقاء بعد القطيعة .. وملأ فاجأهم الرئيس الأمريكى كارتر بعملية الإنقاذ الفاشلة للرهائن الأمريكيين بطهران . فاجأهم الرئيس الأمريكى ديستان بلقائه مع الرئيس السوفيتى بريجنيف .. وباتفاقهما على عقد مؤتمر قمة دولى فى العام القادم لبحث التوترات العالمية .. أو على اتصال الحوار عاما أو أكثر من زمننا الخاطف ساعاته وأيامه بالأحداث الجسام .. وعبر ماسكى عن الغضب الأمريكى خلال الزيارة .. ولكنه أعطى فى تعبيره مفهوما سياسيا طريفا .. وهو أنه من الممكن فى علاقات الحلفاء الغربيين .. الجمع بين المتناقضين : اليأس والثقة ! ! وضعفت حركة القاطرة للألعاب الأولمبية بموسكو .. وعاد التوتر لمجلس الوفاق الدولى .. وتخلفت المعاهدة السوفيتية الأمريكية الثانية للحد من الأسلحة الاستراتيجية .. ونامت لتحل فى هدوء .. أزمة الدبلوماسيين الأمريكيين الأسرى المحتجزين فى خمس عشرة مدينة إيرانية ..

وكل هذا بفعل استجابات دول السوق الأوروبية المشتركة لمحدودة لبعض عقوبات اقتصادية على إيران .. وهى استجابة لم ترض الولايات المتحدة الأمريكية كل الرضا .. ولكنها استجابت مع ذلك حتى الرئيس الأمريكى كارتر .. فهى ظاهرة ضغط جماعى على حكومتى إيران والاتحاد السوفيتى .. وشئ خير من لاشئ .. وخاصة بعد أن فرضت الدولتان العظميان العمل المباشر .. وأسقطا من يديهما الوسائط والأسباب التى لم تثبت فاعليتها ! ؟

لكن التطور الدولى الذى تتضاءل بجانبه أو تدور حوله سائر التطورات .. هو إطلاق الصاروخ الصينى عابر القارات .. فقد بلغ هدفه المقصود بدقة آلاف وسيلة كيلو متر .. وتجاوزه إلى أحد عشر ألفا ومائتين .. وبهت البحرية الأسترالية دقة التوجيه وروعة السلاح الصينى .. وبهذا الصاروخ الصينى الأول أثبتت القيادة الصينية مقدرتها على أن تطوّل أرجاء الاتحاد السوفيتى والغرب الأمريكى .. كما حققت حلم دعاة العدالة .. وتلخص رأيها الواضح الصريح فى أن الردع هو السبيل الوحيد لمقاومة الهيمنة السوفيتية .. وأن التحركات الأخيرة فى أزمة أفغانستان مصدرها المعاهدة السوفيتية المتجاوزة من المقاومة الأفغانية ..

■ ودع عنك حديث المؤتمر الإسلامى المنقضى بالأمس فى إسلام أباد .. فهو حديث عاشق لأريب .. ولا يمكن لمؤتمر لم يحضره بلاده فى العالم وقواه المتصارعة .. وبحكمه رعب الإرهاب وضع المال وتناقض المواقف .. لا يمكن قبل هذا المؤتمر أن يكون فعالا .. فإيران يشغلها التدهور الداخل والغزو العراقى .. وقد احتدم الصراع بين وزيرى خارجية إيران والعراق .. وكاد قطب زاده أن يسحب أولا وساطة الرئيس الباكستانى ضياء الحق .. واحتج وزير إيران على العرب الذين يؤازون فلسطين القدس وفلسطين على فلسطين إيران وأفغانستان .. ولم يرحم أوهام الأخ أبو عمار .. وهاجم وزير خارجية العراق حكومة الخمينى والغزو السوفيتى لأفغانستان .. كما هاجم الولايات المتحدة الأمريكية التى تتدخل عسكريا فى الخليج .. ولأسلم الأمر فيه إلى الحكومة العراقية المثقلة بالمشاكل الداخلية والمحاورة والبعيدة .. وعى وقد انفلق وجماعة الرافضين ، بصرف المؤتمر عن مواجهة الغزو السوفيتى إلى مواجهة المعارضين لهذا الغزو ! ! .. وإذا كانت المملكة السعودية هى راعية التعاون الإسلامى وخزانته .. فقد كان دور وزيرها الشاب فى المؤتمر ضئيلا .. فالأمير سعود الفيصل يؤكد أن الإسلام دين السلام .. وأن العرب يسعون لحل قضية فلسطين بالوسائل السلمية .. وينتقد فى الوقت ذاته جهود السلام المتقدمة .. وهو يرفض التحكم الإسلامى الإرهابى بالدعوة إلى عدم التدخل الأجنبى فى منطقة الخليج .. كأن هذا التدخل لم يتم بعد .. كما يرفض التحكم الإسلامى الغربى بتقديم العون المالى لثوار أفغانستان ، والحملة على الغزو السوفيتى للبلد الإسلامى .. ولعل الأمير قد أنقذ ما يمكن إنقاذه من المؤتمر .. فدار المجتمعون حيث هم فى فلك التأجيل والدراسة والأمم المتحدة .. وابتعدوا عن منطق العصر وواقعه وحقائقه ..

ودع عنك حديث عدم الانحياز والاحتلال السوفيتى لبلد غير منحاز .. فقد شيعت جنازة عدم الانحياز بهالة .. وولى الحركة ليدبر كاسترو فى أوائل الخريف الماضى .. وذلك قبل أن تشيع جنازة مؤسسها الثالث والأخير : تيتو بيلجراد فى أوائل هذا الشهر .. وقد تأكد موت الحركة بالسكتة عن غزو أفغانستان وتجاوزات إيران ، وما صاحبها وترتب عليها من أحداث ..

ورغم الحقائق والتطورات الدولية المتجددة فى هذه الأيام .. ورغم أن القضايا الوطنية أصبحت جميعا قضايا دولية ، فإن الحكومة الإسرائيلية تبدو كأنها تعيش فى جزيرة منعزلة عن أحداث المنطقة وتطورات العالم ، وتالية عن محيط الدنيا الهم بالنذر والمخاطر .. فهى تعيش بعقلية مملكة داود وابنه سليمان عليهما السلام منذ ثلاثة آلاف عام .. بل إنها تتجاوز هذه العقلية حين تريد أراضى الضفة الغربية وغزة أو مانسميه يهودا والسامرة .. وتحتل فى الوقت ذاته أراضى فلسطين الساحلية والداخلية التاسعة .. التى لم تطأها أقدام داود وسليمان ولا أبى من الوافدين العبرانيين على العرب الكنعانيين والكنعانيين والفلسطينيين .. ثم تعيش بعقلية الفكر الصهيونى فى القرن التاسع عشر : قرن الاستعمار الغربى ..

وتأبى العيش بعقلية الشرعية الدولية فى عهدى عصبة الأمم والأمم المتحدة ، وتصفية الاستعمار والعنصرية ، وحقوق الإنسان والأمم والشعوب .. كما تأبى العيش فى بداية عهد السلام الذى ارتفعت قواعده فى الشرق الأوسط ، بالاتفاق المصرى الإسرائيلى .. ولابد أن يفرض نفسه على المنطقة كلها رغم تطرف الرجعيين والرافضين ..

ومنذ أيام قال الدكتور يوسف بورج وزير داخلية إسرائيل ورئيس وفدها فى مفاوضات الحكم الذاتى : « إن السلام مع مصر كلف إسرائيل ثمنا باهظا .. .. .. ولا أدرى ماهو ذلك الثمن ؟ ! هل هو التهديد لاستقرار إسرائيل وخلاص شعبها من ويلات الحروب والاستعدادات للحروب وكوارثها ؟ ! أوهو حركة السلام الكاسحة لإسرائيل والمهددة لأسلوب الياطة ؟ ! أوهو التأييد المتصاعد من قادة الصهيونية وزعماء اليهودية العالمية للقضية العربية ؟ ! أوهو التأييد فقد القضية من الكبار الاذين أو الثلاثة ومن الأمم المتحدة بسائر قواها الكبرى والوسطى والصغرى ؟ ! أوهو تهافت الدواعى للابتزاز باسم التهديد العربى للبقاء الإسرائيلى ؟ ؟

من اليمين : احتدم الصراع بين وزيرى خارجية إيران والعراق فى أول جلسة

إدموند ماسكي وزير الخارجية الأمريكي : عبر عن الغضب الأمريكي للتقارب بين فرنسا والاتحاد السوفيتي

ومهما يكن من أمر ذلك كله ، فإن السلام والتنمية أهم بكثير من هذه العوامل الموقوتة التي تؤدي بالانتهاء أيا كانت الأوضاع لكن الصدق يقتضي الدكتور بورج أن يصحح تصريحه ، ويقول : إن حرب ١٩٧٣ كلفت إسرائيل غنما باهظا .. وهو نفس استخلص السياسيون والكتاب والصحفيون الإسرائيليون في بيان فداحته . ونسبوه إلى تفوق الإدارة الإسرائيلية العسكرية والسياسية معا . فنتائج حرب أكتوبر ، يطولها التفوق والتفوق المصري في استخدام الأدوات والتكنولوجيا العسكرية المعاصرة ، هي التي غيرت الاستراتيجية الإقليمية والعالمية في النزاع العربي الإسرائيلي .. لكن الدكتور بورج وبعض قادة إسرائيل لايزالون مخلصين للمنطق الصهيوني القديم ..

■ وفي مطلع هذا الشهر دعتني هيئة وطنية مسئولة إلى الحديث عن الصهيونية وعواملها في الماضي والحاضر .. وتساءل البعض قبل الحديث : وهل يطابق حديث الصهيونية البائدة مقتضى السلام الوليد ؟ ؟ لكنه الفتح من بعده أن العلة الحقيقية التي تعانيها القيادة الإسرائيلية الحالية ، هي محاولة التوفيق المستحيل بين المتناقضين : مطالب السلام العادل في نهاية القرن العشرين ، وتوازع الصهيونية الاستعمارية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى قيام اسرائيل في نهاية الأربعينات من هذا القرن العشرين ! ! .

ومن بعد نكسة يونية (حزيران) لعام ١٩٦٧ ، وفشل محاولات السلام المتعاقبة المتنوعة . ظهر في الإنجليزية كتاب قيم للصديق الدكتور جون دينير : الخبير الأمريكي في شئون الشرق الأوسط . وابرز المتوفين العامين السابقين لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين . وكان عنوانه : السلام الغارب أو الخادع أو الزائف .. The Evasive Peace وتحدث الدكتور دينير عن غرور النصر العسكري الإسرائيلي ومطالبه ، وخاصة في حرب ١٩٦٧ .. وأكد أن الأيام في جانب العرب .. كما أكد أن السلام لكي يتحقق في الشرق الأوسط ، فلابد أن يتحلل المنصورون من قادة إسرائيل عن مفاهيم القديمة .. وفي مقدمتها الارتباط الإسرائيلي بالمزاعم والقوى الخارجة عن المنطقة .. ويترتب على هذا أن تعترف إسرائيل بأنها دولة من دول الشرق الأوسط وليست غريبة عنه .. وأن تعيش بقلبها الذي يسكنها الآن .. مثلما تعيش سائر دول المنطقة بقلوبها التي تسكن أراضيها ..

ولقد نوهت بهذا الكتاب في حينه ، ولكنه احق على ان

الدبلوماسي السوفيتي : الدكتور جروميكو وزير الخارجية السوفيتي ، قد عقد قمتها مع ماسكي

نشير .

وكان من المستحيل أن تجيب الحكومة الإسرائيلية مثل هذا الداعي قبل عصر أكتوبر ومبادرات السلام ..

وساد جو السلام عقب حرب اكتوبر . وفتح قناة السويس بعد السيطرة المصرية على شرق القناة في سيناء . وفض الاشتباك الأول والثاني .. وأسقط النصر المصري العربي حرب العمل الحاكم منذ نشأة إسرائيل .. وجاء الليكود أو تجمع المتدينين والمتطرفين .. وحكم السيد مناحم بيجين في منتصف عام ١٩٧٧ .. وأحدث نشط من جديد الدعايات القديمة غير السمحة ، مثل القدس الموحدة عاصمة إسرائيل الخالدة ، والحق الإسرائيلي الإلهي في الضفة الغربية وغزة ، والخلط بين التحريف الديني والإحالة السياسية لحديث الاستيطان والأمن ..

□ □ □

وكان عجيبا حقا هذا الإحياء لمعان قديمة لم تلق التأييد ولا التفهم في وقت من الأوقات .. فالاستيطان والأمن سيلا لإقامة وطن لليهود في فلسطين ، قد انتهى أمرها بإقامة دولة إسرائيل في منتصف مايو عام ١٩٤٨ .. ولم يعد للمستوطنات مبرر بعد تولي جيش الدفاع الإسرائيلي مهمة الأمن ، وخروجها من أيدي المستوطنين الذين يمارسون العمل وحراية مازلهم في وقت واحد

وحين قسمت إسرائيل الأراضي غير المسكونة والمزروعة السلاح طبقا لاتفاقات الهدنة عام ١٩٤٩ . حينئذ أقامت مستوطنات مدنية ، وتولى جيشها مهمة الدفاع عنها .. وبعد حرب ١٩٦٧ والأراضي الفلسطينية والعربية التي استولت عليها إسرائيل ، ظهرت من جديد قضية الاستيطان والأمن في الأراضي المحتلة .. وقد تولى علاجها موشي دايان وزير الدفاع حينذاك ويجال آلون وزير الخارجية .. وكانت حطتهما هي اقامة مراكز دفاعية ذات استيطان محدود لايعدو عشرة آلاف مستوطن . والاحتفاظ بالأرض المحتلة بوضعها المؤقت

ولكن أفكار الاستيطان والأمن والقدس الموحدة ، أحدثت نحو ونشط منذ عام ١٩٧٧ .. وأحدثت نشط ملاهي الأوصياء أو جماعة جوش امونيم الذين لايعترف الإسرائيليون أنفسهم بوصايتهم . ويعجب العالم من تعامل الحكومة الإسرائيلية معهم .. ولعل دعوة دايان إلى اخلاء العسكري والإداري الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة تمهيدا للسلام الشامل تلقي بعض الضوء على الموقف الإسرائيلي العام .

■ واخلق أننا في مقام السعي لإقامة السلام العادل الشامل

محمود الفيصل : أكد أن الإعلام عن السلام وأن العرب يتعاون على قضية فلسطين بالوسائل السلمية

للشرق الأوسط . يجب أن نتحرر من أفكار الماضي وخرافاته .. والشرعية الدولية التي تستند إليها إسرائيل . ويعتز بها قادتها . تتمثل في أمرين أساسيين ..

الأول تصريح وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور عام ١٩١٧ . وتضمنه عهد عصبة الأمم إلى بريطانيا الانتداب على فلسطين عام ١٩٢٢ .. وهو صريح في احترام حقوق العرب الفلسطينيين إلى جانب المساعدة في إقامة وطن لليهود بفلسطين .. والآخر هو قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية وأخرى عربية . مع تدويل منطقة القدس الكبرى .. وعينت فيه حدود الدولتين واراضيها والمنطقة الدولية .. أما اتفاقات كامب ديفيد وقرارات مجلس الأمن التي انعقدت عليها . فهي غنية عن المزيد من الإيضاح ..

فهي تؤكد تحرير الأرض العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . ولاتعترف لإسرائيل بأي حق أو عمل فيها .. ولاتتيح أي تغيير في الأوضاع القائمة حتى يوم ٤ / ٥ / ١٩٩٧ .. واتفاقات كامب ديفيد تنص على الحكم الذاتي الفلسطيني والاستقلال الذاتي الفلسطيني التام . وحل حق الفلسطينيين في تقرير مستقبلهم .. وعبارة الحكم الإداري الذاتي التي رددها إسرائيل . عبارة مقتطعة لم ترد قط في اتفاقات كامب ديفيد .. أما المجلس الإداري الذي يتولى سلطات الحكم أو الاستقلال الذاتي . فهو شيء آخر تماما .. والإدارة هنا تعني الحكومة بالمعنى الأمريكي . وبالمعنى الدولي المستقر عند تقرير هنري كيسنجر في الموضوع أثناء ولايته الأمانة العامة للأمم المتحدة .. والمفهوم الإسرائيلي يتناقض مع المفهوم العالمي الاجماعي .. وليس من سبيل للهرب أو التراجع في اتفاقات كامب ديفيد ، كما قال إدموند ماسكي .

■ ولست أريد الاستطراد في هذا المجال .. فالسلام قد استقرت قواعده في الشرق الأوسط .. وحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية ثابتة مستقرة .. والاعتراف الدولي قد اكتمل لها .. وإدانات الأمم المتحدة الإجماعية متصلة لإسرائيل المتعنتة في الأراضي العربية المحتلة .. كما ان القوة الفلسطينية العسكرية والسياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية . قد فرضت نفسها . ومن الخير لإسرائيل ولقضية السلام . التحرر من أوزار الماضي . والعيش في الحاضر بواقعه وحقائقه وتطوراته .

□